الذات في شعر حمد حمود الدوخي
(مجموعة الأسماء كلّها أنموذجاً)

The self in The Poetry of Hamad Hammoud Dukhi
(The Whole Group of Names as a Model)

شمس الضحى حسان فرهود[1] ضياء غني لفتة[2]

الملخّص

يعد الأدب وسيلة تظهر من خلالها الذات الشاعرة والمبدعة، لتكشف لنا عالمها العميق الغامض، وما يحويه من رؤى وتطلعات وأفكار، وما يحيط به من ظروف وتحولات. فالإبداع الأدبي ما هو إلا استجابة لما تريد الذات الإفصاح عنه، وفق مدركات نفسية ودوافع داخلية، تعجّ بها ذات المبدع المنصهرة في إبداعه، لتعبّر به عن نفسها. وهي حينما تفعل ذلك توطّد صلتها بالآخر/ المتلقي، وترسم له حدود العلاقة بالكون والحياة.

فالذات عنصر مرن تتغير أيديولوجيتها، بتغير مكامن الظروف والأحوال المؤثرة في شخصية الأديب/ المنشئ، فتتأثر بالأحداث في شتّى أوجه الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فالأديب ليس بمعزل عنها، وإنما متعايش مع دقائق تفصيلاتها البسيطة، فوضع لنفسه منهاجًا للتعبير عن ذاته.

يعدّ الشعر تعبيرًا عن الوجدان الخالص؛ أي تعبيرًا عن ذات الشاعر، فتولدت منها المعاني التي التصقت بالذات، فانتشر الحزن، والإحباط، والانكسار، والإحساس بالغربة، كما برزت معاني الثورة والرفض وغيرها من الاتجاهات.

لذا جاء البحث تحت عنوان (الذات في شعر حمد الدوخي، مجموعة الأسماء كلها–أنموذجاً) للكشف عن أبرز مظاهر الذات وتجلياتها في مجموعة (الأسماء كلها).

الكلمات المفتاحيّة: الذات، حمد الوخي، الأسماء كلّها، النفسيّ، المكانيّ.

Abstract

Literature is a way to show the poetic and creative self, to unveil its deep and mysterious world, with all its visions, aspirations, ideas and surrounding circumstances and transformations. literary creativity is only a response to what the self wants to reveal, according to psychological perceptions and internal motives,which are filled with the creator who is melted in his creativity, to express himself. When it does so, it strengthens its connection with the other/recipient, and draws the boundaries of the relationship with the universe and life.

The self is a flexible element whose ideology changes in accordance with the reservoirs of circumstances and situations affecting the personality of the writer/creator, influenced by events in various aspects of political, social, and economic life. The creator is not isolated from these factors; he is involved into its tiniest details setting for himself a platform to express himself.

Poetry is an expression of pure conscience, an expression of the poet's self, which generates the meanings that intimately link up with him, and as a consequences، sadness, frustration

[1] كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق [2] كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، العراق ، **تاريخ استلام البحث 2021/02/10، تاريخ قبوله 2021/05/10**

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

brokenness، and a sense of alienation spread، the meanings of revolution, rejection and other trends emerged.
So the research came under the title "The self in the poetry of Hamad Dukhi, the whole group of names as a model" to reveal the most prominent aspects of the self and its manifestations in the group: (All Names).

Key Words: Self, Hamad Al-Khay, All Names, Psychological, Spatial

المبحث الأول

مفهوم الذات لغةً واصطلاحاً

مفهوم الذات لغةً:

وردت كلمة ذات بمعان متعددة، ومن ذلك ما جاء في المصـــباح المنير أنّ الذات تطلق، ويراد بها الحقيقة، وقد تطلق ويراد بها الرضـــا، وقيل الذات تعني الشـــيء نفســـه وعينه، والذات أعمّ من الشـــخص؛ لأنّه يطلق على الجســـم وغيره، والشـــخص لا يطلق إلّا على الجســـم، ويقال ذات الشـــعر بمعنى حقيقته وماهيته، وصـــار اســـتعمالها بمعنى النفس أو الشيء عارفًا مشهورًا.[1]

وجاء في لسان العرب أنّ الذات تعني الجوهر، وقيل ذات منقولة عن مؤنث (ذو) بمعنى صاحب، لما كان النقل، أجروها مجرى الأسماء المستقلة، فقالوا: ذات قديمة وذات مستحدثة. [2]

وفي محيط المحيط تقول العرب: ((وضعت المرأة ذات بطنها أي ولدت ويقال ذات يده أي ما ملكت يده وعرفه من ذات نفسه يعني سريرته المضمرة)).[3]

الذات في المعنى الاصطلاحي:

إنّ تباين التعريفات وتعدد استعمالات مفهوم الذات مرتبط بتعدد المنظّرين وتباين مدارسهم، فيرمز للذات تارة بـ (الأنا) ويرمز لها بـ(الذات) تارة أخرى والفرق بين المدلولين يكاد يكون معدومًا، وأنّ الغموض الذي يشوبه مدى إدراك الذات، وليس هناك خطّ فاصل بين ما هو مدرك، وما هو غير مدرك من الأفعال والأفكار.[4]

وعرفها أبو مغلى بأنه ((تكوين معرفيّ منّظم موجود متعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعبيراً نفسياً لذاته))[5]

[1] ينظر :المصباح المنير، المقري، مادة ذات، ص 189 .
[2] ينظر :لسان العرب، ابن منظور، مادة ذات، ص147.
[3] محيط المحيط، بطرس بن بولس البستاني، مادة ذات، ص31.
[4] القلق والمستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح، غالب بن محمد علي المشيخي ، ص115.
[5] التنشئة الاجتماعية للطفل، سميح أبو مغلى،ص73.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المتسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية وتشمل هذه العناصر:

- المدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود أن يكون (الذات المثالية) .
- المدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد أن الآخرين يتصورونها التي يمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين (الذات الاجتماعية) .

الذات من المنظور الفلسفي:

اتجهت الفلسفات في العصر الحديث نحو الواقع، واتخذت لذلك صوراً وأشكالاً متباينة؛ منها: الفلسفتان الاجتماعية والاشتراكية اللتان تعنيان بإصلاح المجتمع لإسعاد الفرد، والفلسفة الوضعية التجريبية، فالفلسفة المادية التي تجعل الفرد نتيجة لعوامل مادية ثم الفلسفة الوجودية.

إنّ الإنتاج الأدبي عمل حر، يتوجه إلى المتلقي الحر، ليشارك ما يخلقه المبدع من حريةٍ بمعناها الإنساني. إن العمل الأدبي ليس مجرد ذات، وإنما هو وعي حي يتوجه به الأديب نحز مجتمعه الخاص، وقد يقصد مجتمعًا مثاليًا في المستقبل، إذا وجد من معاصريه جفوة، وقد يقصد مجتمعًا بعيدًا من مواطنيه ليصف لهم مُثله الإنسانية .

الذات وعلاقتها بالشعر:

تعني الذات عند الأدباء والشعراء والنقاد –عموماً– التعبير عن نزعات النفس الإنسانية بأسلوب تظهر من خلاله العلاقة المباشرة بين النص والذات المنشئة، من جهة إحالته على الشاعر المنشئ له، بتعبيره –عادة– عن ضمير المتكلم مباشرة.[6] وقد تزخر هذه الذات بعواطف سعيدة أو حزينة أو متشائمة أو مغتربة... إلخ، بناء على حدث نفسي عاشته فحفزها على الإبداع الأدبي في لحظة شعورية ما، حيث تحكم المواقف الشعورية التي عاشها الأديب على حالات الذات في النص.

ووردت في شعر ما قبل الإسلام كلمة (ذات) في كثير من القصائد، وتفيد في معظمها: (صاحبة)، ومن الشعراء الذين استعملوا هذه الكلمة في شعرهم: عبيد بن الأبرص، وعروة بن الورد، وعنترة بن شداد وغيرهم من شعراء تلك الفترة؛ قال عبيد بن الأبرص:

وَهَل رامَ عَن عَهدي وَدَيكٌ مَكانَهُ إِلى حَيثُ يُفضي سَيلُ ذاتِ المَساجِدِ[7]

وقول عروة بن الورد:

فيوماً على نَجدٍ وغاراتِ أهلها ويوماً بأرضٍ ذاتِ شَتٍّ وعرعر[8]

[6] الشاعر والذات المستمدة، د. صالح زياد، ص1.

[7] ديوان عبيد بن الأبرص ، ص 71.

[8] ديوان عروة بن الورد والسموأل، ص38.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

وقول عنترة:

أُسائِلُ عَنْ فَتاة بني قُرادٍ وعنْ أترابها ذوات الجلل[9]

لذا فالذات لها أصول جذرية متأصلة في الأدب، فهي ترتبط ارتباطًا بالشعر، وتتضح من خلال إدراك أن جل الفنون الإبداعية تنبع من ذات إنسانية متميزة، لها قدرة فذة في خلق إبداع متفرد، والشعر هو أحد هذه الفنون، فهو شعورها الداخلي ومنجزها الإبداعي الذي تصور به آمالها، وانطباعاتها، ورؤاها في كل ما يحيط بها، من عناصر الكون و الحياة، وهذا التفاعل مع الموجودات ينشأ داخل هذه الذات، وفي داخلها تنخلق العملية الشعرية، مستوعبة هذه التفاعلات وممتزجة بها.

ومن هنا تتجلى العلاقة الوطيدة بين الذات والشعر. فهذه العواطف فردية خالصة، والشعر عملية إبداعية فردية، وتضمن الذات تجارب الحياة وعواطفها الخاصة لتشكل الصور في ثنايا النص وفق مظاهر متعددة.

أما في الشعر الحديث فقد استعانت الذات بعناصر التجربة الشعورية؛ لتعلن عن كينونتها ووجودها وتحدد ملامحها.

المبحث الثاني

مظاهر الذات وتجلياتها عند الفرد

أولاً– الذات الحزينة المحبطة:

لقد عاش الشاعر وما يزال بين مطرقة نار ذاته وسندان واقعه. فالشاعر مثل الواقعية الجديدة أصدق تعبير؛ إذ التحمت في شعره مشاكل واقعية مع الوجدان، فالحزن الذي أصابه لم يأتِ من العدم وإنما أراد أن يكون مخلصا لذاته ويمنحها ما أرادت من حقوقها عليه، فاصطدم بالواقع والنظام الخارجي، ومن هنا نقول إنّ الواقع وظروفه المؤلمة هي التي تسببت في حزن الشاعر العميق والصادق.

إن الشاعر يسعى ليكون حجة على عصره يثور به ويتمرد على واقعه المنحط والتخلف ويرفضه. إنه ((يحترق اشتياقا إلى عالم جديد))[10]. لهذا أخذ ينظم إحساسات ومشاعر صادقة واعية للواقع المتخلف الذي يمثل فساد الحكم وفساد مظاهر السلوك والقيم الاجتماعية وهو يعاني ألواناً مختلفة، أصعبها أن يكتشف أن الشاعر هو نفسه، (اللاعاقل الضعيف المتقاتل على التوافه المتناحر على الأشلاء والجيف، ما زال هو الإنسان الذي يفتك قويه بضعيفه... والذي يفاضل بين بشرة وبشرة، وعقيدة وعقيدة، كأنما ما يزال في أول الطريق يحبو).[11]

---

[9] ديوان عنترة بن شداد، ص90.

[10] الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص ١١٧.

[11] المرجع نفسه، ص٣٠٧.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وأكثر ما يتجلّى ذلك الحزن في الانكسار الداخلي الذي يسيطر على ذاته المحملة بشحنة عارمة من اليأس الناتج عن أسباب الهزيمة في الواقع الخارجي، ويتمثل هذا الانكسار في صورة الذات/ الوطن الذي تماهى في بودقة قلب الشاعر، وتمظهر شجيه الحزين في مجموعته الأسماء كلها (إلى ملحان داوود) :

ما بيننا موعد

وها إنني واقف أُجلد

ولتسمع يا واحدٌ أحدُ

هاون في الحديقةِ

دبابةٌ في الممر

لا تخف لا تخف

كل شيءٍ في خطر[12]

يمثل هذا المقطع صورة الذات ، وهي صورة الشاعر نفسه إلا أنّه لم يصرح بالتعبير عن نفسه إلا في بادئ الأمر عندما وصف حاله بالجلد، وأومأ إليها بصيغة المضارع المنهي حين صور صورة الألم و حالة الحزن المتشظي بين ثنائيات الضد حول ماهية (الحديقة) كفضاء الأمان والسلام، ولكنه أفحم الهاون أحد لوازم الحرب والفتك والدمار، وشجّ بناه المكاني بلوحة مخيفة، ثم يعرج إلى التيمة (دبابة) كرمزية مشابهة لسلفها، (هاون) في فضاء الممر، وكأنه بر الأمان والمحتوى المسالم، ثم يحملنا لدهشة شعورية فنية، علّها تكون مفارقةً (لا تخف) بشعوريتها المتكررة؛ تأكيدًا لفكرته التي لم تخرج اعتباطًا وعبثًا، ليقود القارئ إلى منزلق السؤال الإنكاري: كيف أن لا يتسرب الخوف إلى تلك الخلجات، ونحن أمام شخصية مرعبة تمثلها آلات الحرب والموت والقتل؟ فقد ظهرت معاناة الشاعر لمظاهر الحياة في المدينة؛ بسبب معايشته للواقع ومحاولته البحث عن الوجود الاجتماعي والسياسي، لكنه اصطدم بالحياة التي رسمها بصورة المذبحة للأحلام والرؤى والقتل لكل مظاهر السلام.

يرسم الدوخي هذا الانكسار في صورتين بوجهتين مختلفتين؛ الأول رسم صورة نفسه بالأنا:

وها إنني واقفٌ اجلدُ

والثاني يصور الانكسار النفسي والحزن الشجي بصورة المحاور للآخر (لا تخف لا تخف)، وكأنه يسلو مع الذات الأخرى، ويخلق من نفسه بعداً آخر يشاركه ويتفاعل معه.

فعندما يستجيب الشاعر للحزن ويترجمه شعرًا، فإن هذه الاستجابة صادرة عن موقف ذاتي لا يمليه عليه إلا الذات نفسها التي تمر بمحنة أو موقف يجعلها تتشظى وتتشاءم، وتحبط. فينعكس ذلك على الشعر، يقول عز الدين

[12] الأسماء كلها ، ص22 .

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

إسماعيل: ((إن الذات في الشعر القديم لم تظفر باهتمام خاص حتى إذا كنا في القرن العشرين... أتيحت الفرصة للذات أن تبرز: وكان عليها عندئذ أن تواجه نفسها أولاً، وأن تواجه العالم الخارجي ثانيًا)). [13]

ثانياً– الذات الثائرة الرافضة:

نحن إزاء شاعر رافض متمرد قهر سمات الضعف والتردد إلى غمار الاستعلاء ورفض الرتيب، تارة نراه مستعلٍ على أفق المحدود وتارة يرفض رتابة المتواتر إلى التغيير.

لقد ثار الشاعر العربي في العصر الحديث على مجتمعه، ورفض الذل الذي ذاقته المجتمعات العربية نتيجة تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمنهم من كان ساخطًا ومنهم من كان ثائرًا رافضًا، وشاعرنا يمثل صوت الثورة في بنيانه الشعري أنتج شعرًا، يعبر عن مواقفه الذاتية، وللتمرد ثلاثة وجوه عرفها الشعر العربي الحديث: ((تمرد ميتافيزيقي؛ وهو تمرد على الموت وعلى الكون... وتمرد رافض؛ وهو المتعالي على الواقع الاجتماعي، وتمرد ثوري؛ وهو نتاج للنوعين السابقين)).[14]

ونلمح هذا المعنى في قصيدته أوتار رملية: [15]

أنا عازفٌ هذه الأوتار

أغنياتي معالق تسرقُ

الأنهارَ

ومواويلي حبائلُ

أَيها الحاضرون

سأعترف الآن

لستُ مشتاقاً

جئت لآكل

أيها الأنا لا تنتظرني ليس لدي وطن

بدأت مقطوعته بالتمرد على جميع الأوضاع الاجتماعية المحيطة والانطلاق لروحه بالتحرر، وكأنه يبث رؤيا ويعلن الهوية والنسب بفحواها له دون خوف أو مواريه، حتى يوثقها بعلاقة علائقية بين عزف الأوتار والمواويل المحيلة

[13] الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص٤٢.
[14] المرجع نفسه، ص٣٥٠.
[15] الأسماء كلها، ص١٠٩.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

بوصفه توثيقا أكثر عمقًا وإدراكًا. ويحنو بنفسه بعيدًا عن تشظيات الطاولة، ويلزم نفسه بالبعد عن وطن غابت فيه ملامح التجديد، وهو من أول دعاته وطارقيه، إلا أنّه لم يسلم لدعواه، فابعد نفسه رافضًا ثائرًا عما يدور حوله .

وفي قصيدته (النهر الزجاجي) يقول:[16]

يا لعاركَ

كيف ترفض أن تكنس ما يتركه الحدادون والمتسولون

والموشومون على كتفيك من أعقاب وكسر عباد الشمس

انتصب، اترك الجسر يتدلى، أنا ساندك

وكأنه يخلق من ذاته شخصًا آخر، يدعوه للثورة وللرفض لما هو قائم أو معتاد استلهمناه بفعل الاستفهام الذي خرج لمعنى الإنكار الذي يقع على الشاخص الحيوي المتفاعل المشترك بالفعل أو المغيب، وأومأ بالحدادين والمتسولين... كصورة تشخيصية ورموز عن الحكام المتقلدين للسيادة، فهم من حدوا خيرات البلد، وأبردوه حتى غدا ضعيفًا هزيلاً، وهم ليسوا من جنس الخير بل تسولوه حتى تقلدوا، وأوشموا في كتفيه ومرابع جسده صور القتل والفتك والخراب، فيدعو لإزاحة تشظيات الصمت والكبت كلها إلى مدرج الفعل والثورة ، ثم يستطرد إلى الذات الأخرى معلنا مساندتها (أنا ساندك)، وكأنه يخلق من قصيدته خطاباً ثوريا بناءً بين الذات والذات الموارية خلف الأنا.

كان الشاعر ثائرًا على الأوضاع المختلفة، رافضاً مظاهر الاستبداد والظلم للشعب، وكان شعره أكبر مظهر لثورته ولروحه الثائرة الشاعرة؛ إذ ثار على التقليد والاحتذاء على السكوت والصمت إزاء كل ما يحدث من مظاهر الموت والخراب الدامي.

ثالثاً– الذات المغتربة:

يعد مفهوم الاغتراب أحد المفاهيم الأكثر إثارة للجدل، لا بسبب غموض معناه بل فقط بسبب التعريفات الكثيرة والآراء المختلفة له فأحيانا يترجم ((المصطلح إلى الغربة أو الاستلاب أو الافتراق عن الجوهر أو الانسلاخ)). [17]

وأكثر ما يقع به القارئ من التباس هو التفريق بين الغربة والاغتراب فالمعنيان مختلفان، الغربة ((هي الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن، أي الإحساس بالغربة بسبب المسافة التي تفصل الإنسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه.

أما الاغتراب فيعني فقدان القيم والمثل الإنسانية، والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم في الإنسان ويستعبده، حينئذ يشعر الإنسان بالانفصال والانعزال عن الآخرين وعن مجتمعه والعالم)).[18]

[16] الأسماء كلها ، ص115 .

[17] الأنا في شعر محمود درويش، ص١٥٣.

[18] مفاهيم في الاغتراب، محمد ذنون الصائغ، ص٢١٦.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

فالاغتراب هو الحالة التي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريبًا بعيدًا عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي المحيط[19] دون أن يتطلب ذلك الانتقال المكاني عن الوطن الذي يعيش فيه. ويرى محمد الصائغ أن مصطلح الاغتراب يوظف أحيانًا لوصف شخصية المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمقاييس الشعبية في المجتمع، وأن الاغتراب وفق هذا المعنى ينظر إلى الفرد المثقف من زاوية الإرضاء والجزاء لا من زاوية العزلة الاجتماعية التي تحدث نتيجة عدم التأقلم الاجتماعي أو التواصل البناء بين الفرد والمجتمع، لذا يمكن وصف الشعور بالاغتراب بأنّه شعور الفرد بالعزلة والانفصال النفسي عن الذات وعن الآخرين والوحدة أو عدم الانتماء والشعور والإحساس بالقلق، و رفض القيم والمعايير الاجتماعية والاغتراب عن الحياة الأسرية والاجتماعية))[20]، والاغتراب يكون نفسياً ومكانياً.

الاغتراب النفسي :

هو مفهوم عام يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الإنسان الشخصية وذاته الأنوية إلى الانشطار والضعف والانهيار بتأثير الأعمال التي تتم داخل المجتمع؛ مما يعني أنّ الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية حيث يفقد فيها الإنسان مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة. وهو ((شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو كليهما)) [21]

ويتحدد مفهوم الاغتراب في الشخصية بالجوانب المختلفة، مثل حالات عدم التكيف التي تعانيها الشخصية من عدم الثقة بالنفس أو المخاوف المرضية أو القلق وضعف أحاسيس الشعور بالهوية والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن))[22]

ويعود الاغتراب النفسي إلى العلاقة المتوترة التي تربط الفرد بمجتمعه التي تجعله يفقد توازنه النفسي وعلة وجوده وجوهره، ويدخل عالم الاغتراب الذي يمثل مقدرته على الفعل والتحكم في مجرى حياته والانفصال عن الآخرين، وهذا يوحي بأنّ ((أغلب المغتربين نفسيًّا كانوا مغتربين اجتماعيًّا، بمعنى أن اغترابهم كان في جانب كبير منه أثر من آثار نبذ المجتمع أو تجاهله أو مطاردته لهم، ثم أصبحوا غرباء عن الآخرين)).()23

ويطالعنا هذا الشعور في قصيدة الدوخي بعنوان (إلى أمي): [24]

أرجعيني إلى مخبئي– تحت صاياتك

---

[19] معجم علم الاجتماع، دينكن ميتشل،ص١٨.

[20] الذات في مواجهة العالم، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية، أميرة علي زهراني، ص٣٤.

[21] الاغتراب النفسي وعلاقه بالأمن النفسي ، رغداء نعيسة ، ص١٥٨.

[22] المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفه ، ص١٠٣.

[23] الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في الفترة ١٩٢٥–١٩٨٠ أمينة بو علامات، ص ٨٤.

[24] الأسماء كلها، ص١٠٠.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

النهر من زحام المدن

ومن عاهة النقد

وسطوة الناهداتِ

أعيدي يدكِ إلى جيبك بيضاء

واخرجي لي – مع عيدية– عمراً

أغيثيني..

يا أُم

لم أَكُنْ أَعلمُ

إن بانتظاري كل هذا الفجور..

أو آه

يصور الدوخي إحساسه بالألم النفسي بعد إجهاد وضني، كإحساس إنسان فقد لذته في العالم الخارجي وهو يطلب العودة إلى تلك الأحضان ذلك العالم المصغر، ذلك الدفء الذي يعوضه عما يشعر من غربه وتشظي، حيث إحساسه المغترب تفجر عنده ولم يعد في مقدوره مقاومته؛ إذ انعزل عن عالمه، وظهر بصورة الشخص الذي يريد أن ينعزل عما يحيط بالوطن من مشاخص الخوف وشواخص النقد وجبابرة العدا، ويتمنى العودة إلى حيث البراءة والطفولة، وهو ما يفهم من لفظة –العيدية– بوصفها أحد لوازم السعادة يسعد بها الأطفال أكثر من البالغين. ثم تتأزم نفسيته ليحول إلى معنى مبالغ بـ أغيثيني، إذ لم يرَ في عزلته هذه سمة السلبية أو التقوقع الذاتي السيء؛ لأنه بظهوره وبقاءه أمام السلبية ذاتها عندما يقول: لم أكن أعلم أنّ بانتظاري هذا الفجور كله، فإنه بتنهيدته النفسية هذه يرى المثول خارجاً أمراً لا يقاوم، وهو في عزة العزلة يضفي عليها سمة القيم العالية، والأبعاد الحلقية، حيث يظهر وبشكل واضح فتور الهمة وقليل الحماس، وهذه هي معاني الاغتراب العميقة.

الاغتراب المكاني:

يؤدي المكان دوراً مهما في تكوين حياة البشر، وترسيخ كيانهم، وتثبيت هويتهم، ثم يحدد تصرفاتهم وتوجهاتهم؛ هذا لكونه أشد التصاقًا بحياتهم، وأكثر تغلغلاً في كيانهم، وأعمق تجادلًا مع ذواتهم. فكما أنّ تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكل بعدًا جماليًّا من أبعاد النص، فإن معايشة الإنسان للمكان وتآلفه معه أو معاداته له يشكل خلفية ارتكازيه لكل تصور أو توجه أو تشكيل فني(25)

(25) مظاهر الأنا في شعر محمود درويش، ص١٠٩.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

والاغتراب المكاني هو الشعور بذلك الحس الذي يحاول الإنسان تصويره عندما ينتقل من مكان إلى آخر لتحقيق آماله وطموحاته مصورا تلك البلدان التي أقامها، وعندما يدخل تلك البلاد المغتربة يصاب بخيبة الآمال)[26]

يظهر هذا الإحساس بالاغتراب المكاني والشعور بالاختناق جليًّا في قصيده أوتار رملية، يقول:

أيها الأنا

لا تنتظرني

ليس لدي وطن

ولا أحذية

ليس لي غيوم ولا نهود

كل ما عندي أظافر سود

وأسنان مخمورة

إنّ حالة الاغتراب المكاني تعمقت حين فقد الشاعر صلته بالمكان، فغدا المكان غريبًا عنه، لا يمتّ له بأدنى شبه، إنّ شعور المنفى الملازم للشاعر هو الذي لا يدعه يشعر بقلب الوطن؛ إذ أجهر أنه بلا وطن؛ وهذا ما يشعره بالضيق، ويحشره نفسيًّا، فيصرخ ليس لدي وطن وكأنه أمام كابوسٍ، استشاط به الشاعر ألمًا عندما دعي به.

وقوله في قصيدته إلى داليا:[27]

قل لها

إنه بلد

يكره الطيبين

لم

يعد

بين قلبي

آه بغداد

ربما تذكرين

شاعرًا

[26] المرجع نفسه ص١٠٩.

[27]الاسماء كلها، ص٨٦.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

كان يبكي

حين يحكي

تذكرين؟

يظهر الصراع النفسي والوجداني عند الشاعر نتيجة اغترابه عن المكان الذي برز لنا بصورة تغير ملامحه؛ متأرجحة بين ذكريات الذات في الزمن الماضي وبين صورة الواقع الجديد، وتظهر حالة الصراع النفسي العميق حينما لا تستطيع الذات التخلي عن صورة الوطن في الزمن الماضي وتقبل الأمر الواقع؛ إذ تظهر تلك الصورة حينما ينزع الوطن صفاته السالفة ويكره الطيبين، و كأنّه حال غدا من بعد حال حيث يوجه رسالته وتغير الحال إلى داليا كمعادل موضوعي يبث له صراع الذات وتكالبها النفسي مؤكدًا هذا لوقع اللازمة النفسية (آه بغداد) حتى يتحدث عن نفسه بصفه الغيب، (ربما تذكرين) إذ يضعها بأرجحية الذاكرة لعلها تتذكره من بين صفاتها السوداء، فهي لم تعد هي حتى تتذكره، لأن تغير حالها أنساها ذاته، فزاد اغترابه في الأرض لانعدام الحميمية فيها لذلك يقول:

إنّه بلد يكره الطيبين، فيلبسه جلباب العداء والقسوة؛ للدلالة على حالة الجفاء والضيق، نجدها في قصيدة ثلاثية الهم، قوله:[28]

فكيف وجرحك يقطر ملحًا من الخوف

يا سيداً من عناءٍ وحزنٍ طويل

ستغرق بي؟

وهل كان من ألم عند ذبح القتيل؟!

هنا صاحبي في الطريق الطويل

إلى الماء..

بعيد هو الحقل

والناي ساقيةٌ

طاعتهُ في العناءْ

نلاحظ النغمة المنكسرة الحزينة المحبطة التي صدحت بها ملفوظات القصيدة، فهي لا تبدو ذاتاً انبساطية تفاؤلية، بل هي ذات محبطة قلقة ساخرة إلى حد مأساوي عبرت عن حالة صعبة سيطرت على نفسية الأنا، وتمثل شعورها الانكساري الداخلي المحمل بشحنة عارمة من الخوف والتوتر وشحب لون السلام الداخلي فيه، حيث تتوافد مصطلحات: (الجرح، الخوف، العناء، الحزن، الذبح، القتيل)، كلها وشائج تعكس نوازع الشاعر النفسية المنكسرة الخائفة المتشظية وانعكست شعرًا. وسؤاله الاستفهامي الذي جاء بمثابة رصاصة رحمة لما يعانيه: هل من ألم عند ذبح القتيل؟

[28] الأسماء كلها ، ص٦٣.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

يسوقنا لمعترك صوري، نحن على وعي بماهيته، ولكنه يسنده لمعناه، كي يؤكد عمق المعاناة، وانكسار الذات الذي أبرزته تلك التساؤلات، فرسم لنا صورة الإحباط واليأس من هذا الواقع المخيب للآمال. فصورته المرسومة بفعل نزعة الإحباط ولّدت ذاتاً متزعزعة أحدثتها غياهب البلاد وتشظيات مكوناته، فأحسَ بالاغتراب النفسي الذي جسّد لنا ألمه الشعوري لا الجسدي أو المادي.

المبحث الثالث

الآخر في مرآة الذات

إنّ الآخر في أيسر صورة هو مثيل نقيض الذات، فهو كل ما كان موجودًا خارج الذات المدركة ومستقلًا عنها، ((وفي تاريخ الفكر كما في العلوم الإنسانية احتلت موضوعات الآخر مكانة بارزة؛ نظرًا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة: الذات الهوية (...) فيصير الآخر بالمفرد والخصومة والعداء)).[29]

وتمثل العلاقات الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد داخل مجتمع واحد أو بين مجتمعات وثقافات التوصل والانسجام، ويختلف الآخر في تصنيفه ما بين واحد وجماعة ومرد هذا الاختلاف إلى اختلاف الذات الناظرة إليه؛ إذ هما متلازمان[30]. ومن جانب آخر فإنّ الذات مكمل للآخر؛ إذ إنّه لا وجود للذات من دون آخر، لا من حيث تساويهما في الكم والنوع، فهو فرد إذ كان الفرد فردًا، وهو جماعة إذ كانت جماعة... فنظر الذات الجماعية إلى فرد ويكون الآخر قريبًا كما يكون بعيدًا.[31]

وعلاقة الذات بالآخر تنشأ من أجل الذات أو من أجل الآخر، وقد تناول الشعر العربي على امتداد مراحله علاقة الذات بالآخر،((اختلاف الآخر باختلاف موقف الأنا منه، مما يشير إلى صورة الآخر على هذا الأساس هي عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها)) .[32]

لا تأخذ العلاقة مع الآخر خطًّا مستقيمًا في كل نوع من هذه الأنواع، فعلاقة الذات بالآخر، الحبيب التي من المفترض فيها الانسجام والتناغم تحكمها عوامل كثيره تجعلها بين مدٍ وجزر، وربما تأخذ العلاقات مع الآخر وضع المتردد بين الشد والجذب، أو تكون مع الآخر العدائي الذي يأخذ صورة المعادي بأفكاره وصوره الموضحة لماهيته أو مع حقيقة الوجود المتمثل بالموت. وجاء الآخر بأنواع؛ منها: السياسي أي سياسة الحكم والحكام، والآخر العاطفي من حيث الأم والحبيبة ثم الآخر الموت.

الآخر السياسي:

[29] في معرفة الآخر، بن سالم حميش، ص٥.
[30] ينظر: ثنائية الأنا والآخر، عبد الله تريس، ١٧٣.
[31] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[32] الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد حسين، ص٦.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ارتبط الآخر سياسيًّا في مجموعاته الشعرية، فهو العدو المباشر لأنظمة الاستقلال وحتمية السلام والأمان، فيراه الآخر الهادي المخالف للذات؛ لأنه يحاول إقصاءها وتهميشها ومحوها بممارسة كل أنواع العدوان والاضطهاد، فيصبح وحشيًّا مدمرًا مستعمرًا، ((لتنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي)) [33]، ليكون هدف كل واحد منهم التخلص من الآخر بأي وسيلة، فالشاعر ينظر إلى الآخر السياسي نظرة المعادي المستغل للخيرات الهاتك للمحرمات، وهو والآخر في صراع بدل التفاعل الحضاري المثمر بينهما؛ وهذا ما جسدته قصيدته "ملصق على العراق":[34]

وطن به الغرباء أسياد

وأهل الدار نزل

وطن تقاسموه

ولملموه وهربوه

وحاربوه وهجروه

فما الذي نرجو من الأعداء؟!

والأعداء كلّ الطائرات تدكوا سوره حديقتي

والصوت يعلو.

يشير الشاعر إلى حالة الدمار وطغيان الآخر السياسي الحاكم وأفعاله الاستلابية لخيرات الوطن، حيث تقاسموه، لملموه، هربوه، حاربوه، هجروه، حيث ذلك الخراب الذي لاحه لم يقتصر على الواقع المادي فحسب، وإنما يمتد أثره إلى الدمار النفسي، وبين من خلال مدلولات الأفعال على سياسة العدم والإبادة التي انتهجها وتكشف بشكل أو باخر البعد عن الأخلاق الإنسانية، وشرفية السيادة، فاظهر الآخر/الحاكم خاليًا من الإنسانية التي خلق الله عليها الإنسان؛ إذ اكّد عدائيته من خلال لفظة (الأعداء) المكررة ليخلد أثره السلبي في النفس، فأبرز لنا شخصية الآخر، ورسم المشهد الواقعي وتكالبه على الخيرات كتكالب الوحوش الضارية على فريستها فمفعولية الألفاظ حتمت لنا رسم الصورة المعادية للآخر الناقم على الشعب بكل خيراته.

الآخر العاطفي:

لا شك أنّ العاطفة حالة نفسية تخبر عنها القصيدة من خلال انفعالات الشاعر بالموقف الذي يتحدث عنه، وطالما يقترن موضوع الحب والعاطفة بالمرأة حيث يكون حبًّا ينبع من عمق المشاعر الصادقة. فالحديث في الظاهر يتجه نحو المرأة أو الحبيبة، ولكن ما أن تتعمق الدلالة حتى ينكشف المعنى الباطني. فالمرأة رمز لكل ما هو مقدس. لقد تشكلت صورة الأم في شعره، فعاطفة الحنين للأمّ عاطفة فطرية بطبيعة الإنسان، ترتسم معها أجمل وأسمى العلاقات

[33] صور جدلية الأنا والآخر في الرواية العربية، جميل حمداوي، صحيفة المثقف، العدد1440في 2010/6/27 مقال في الإنترنت.
[34]الاسماء كلها، ص٢٧.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

الإنسانية بشكل عام، وعلاقة الشاعر بشكل خاص وصورة الأم، معنى ثقافي، لم تكن وليدة فكر أو نتاج معرفة جديدة، بل هي صورة تقليدية بدأت ملامحها على أيدي الشعراء منذ العصر الجاهلي،

حتى تبلورت صورها في الشعر الحديث، لهذا تمثل المرأة عنصرًا بارزًا من عناصر الخطاب الشعري، ولشخصيتها حضور مميز في النشاط الشعري.

وجاءت صورة الأم في قصيدته (ملصق على العراق) يقول:[35]

أمي عباءتها تقول الله

أمي الطريق إلى الجهات جميعها

أمي حدائقها يداها

ستظل.. وستظل

هي طفلة القمح المقدس

والرحى الصفراء

تتلو

أماه

سنبلة انتظارك

جفنتي

ويداي نملُ

استدعى الدوخي مدركات الأرض بسنابلها، برحاها، بحدائقها، بحقولها، وكأنه يجعل من كينونتها أصل وجوده كما الأرض أصل الوجود لكل شيء، فجنس الأرض والأم واحد، هما الوجود والكينونة، فأسند إليها إحدى لوازم صفاتها، وهي الكرم، وذلك بتشبيه عباءتها بحقول الله؛ للدلالة على أنها متوشحة بالكرم والعطاء كما تعطي الحقول من خيرات دون كلل وملل، ويسند إليها بوصلة الطريق وشمس الطرقات؛ قاصداً أنها الجهات جميعًا، وكنّى عنها (طفلة القمح)؛ إشارة إلى ماهية عملها من جهة، وإلى عطائها السخي من جهة أخرى، فبتكراره لفظة الأم إشارة إلى تلك الهمسة الدافئة العالقة في جوف الكلام، إشارة إلى الدفء الآمن بعيدًا عن مدركات الخوف والتوتر، فالشاعر يربط بين ذاته المنكسرة وأمه، ويجعلها الملاذ الآمن، والمنفذ النفسي والوجداني والشعوري.

[35] الأسماء كلها : ص23 .

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وقوله في قصيدة (إلى أمي):[36]

أنا..

من صنعتيه مما تبقى

من أحطابك

أيتها الموشومة بالأنهار والزرازير

يا وريثة حكايات الصيد

وعادات الري

يا أم

لمَ أنا مهتم بتشديد الكلام

ومحو النصائحِ

وكري الحروف

تماهت الذات مع الآخر الأم في صورة واحدة، وجعلها هي المنشئ لذاته، لكينونته وهو بهذه الصورة قد اتحد مع ماهية الأم اتحاداً تاماً في كينونة واحدة، استلَ صورتها وتوحد مع الغير باحثًا عن المعنى الأعمق للشعور الآمن كحالة وجدانية، ووجودية؛ ليكشف أبعاد العلاقة الروحية والنفسية والجسدية والعاطفية، ثم يرمزها بأوشحة الطبيعة مرة أخرى وكأنه يجعلها محور الحياة الكونية التي احتضنته وصنعته كما احتضنت الأرض أنهارها وطيورها، ثم يردفها بطابع الخير المتوارث الملازم على طول الزمان بوريثة حكايات الصيد، وسقاية كل شتال الخير والخلق والعطاء، فألزمها صفات الود والسلام، كمعوض للسلام في داخله المتشظية وكرامز للاطمئنان يفر إليه كلما شحن واقعه ذاته بالخوف والانكسار.

الآخر/الحبيبة:

الحب عالم متجدد وخصب، متنامٍ ، إنّه سر من أسرار حركة الحياة الكونية التي تحتضننا، تلك العاطفة الفطرية، وهو قوة كونية كامنة موحدة تربط بين المحبين والوجود، تخلق علاقة بين الواقع واللاواقع، بين الحضور والغياب.

نجد الدوخي في قصيدته (ملصق على العراق)[37] يقول فيها:

[36]الأسماء كلها : ص99 .

[37]الأسماء كلها، ص٣٢.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

مولاي وجهي

طعنة العينين

والمرآة جرح

أشكو إليك حبيبتي

مولاي

فعلى أظافرها

يفيض اللون

من دمها يفحُّ

ضاعت مدينتنا بها

عنها يفتش فيك صرح

القصيدة في صورها لا تخرج عن إطار الوصف، ومن باب التجريب يدخل الشاعر عالم المرأة، والتغزل بها ووصف جمالها، وتلمح النظرة الجمالية التي ينظر إليها الشاعر إلى الآخر المرأة، نظرة تخلو من الشهوة. إنما نظرته بعدها مصدراً للجمال والحياة، تستحق أن يحتفل بجمالها، فيوظفها كرمزٍ يفتح التأويل على مصراعيه، إمّا أن تكون حقيقة يبث شكواه عبرها، وإما ان تكون رمزًا يوارى خلفه الشاعر، بدليل قوله: أشكو إليك حبيبتي، أكتبها وتمحو، علّه أراد أن يختبئ خلفها ويصرح عبرها، ويحتذي بها إيجابًا، كمؤشر نفسي يستقر في غياهبه الشاعر، فتؤثر بنهاية الأمر إيجابًا على مجرى الحياة وعلى العلاقة بين المحبين.

الآخر/وجوديًا:

الموت:

يعد الموت من المؤثرات التي ألقت بضوئها على حياة الذات الشاعرة في الشعر العربي، حيث تتباين نظرة الشعراء قديماً وحديثاً إزاء الموت ما بين قابل ومستسلم، إذ يرى الموت مصيرًا حتميًّا لكل حي، ولا مجال للبقاء، وما بين رافض ومصالح له، وثم انعكست تلك الرؤى على الشعر.

ويبدو أن موت الكائن وحياته هما جزء من جدلية الكون كله، ولا يمكن تصور الحياة دون وجود الموت، كما ((شغل الموت الإنسان منذ بدء التاريخ، وحاول البشر كما أكدت أساطيرهم الأولى اكتشاف ماهية الموت على أمل

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

التغلب عليه وتحقيق الخلود لهم، لكنهم أخفقوا فهربوا إلى الأمام رافضين إخفاقهم وقالوا بحياة أخرى، يقهرون الموت من خلالها)).[38]

ودخل الكون في ((تكوين فلسفات المجتمعات وقيمها، وأسهم في رسم ملامح العلاقات، وفكرته ودورها في دورة الحياة والبعث، وضعت الحياة الدنيا والآخرة في إطار فلسفي جوهره الموت، ولحمته تلك العلاقة ما بين قبل الموت وما بعده))[39] . وإذا كان الخوف من الموت هو ((الشعور العام عند كل إنسان، فإن هذا الشعور

يتناقص كلما ازداد الإيمان بوجود إله واحد، وأن هناك بعثة أخرى بعد الموت))[40] . ولا شك أن رؤية الموت عند الشاعر نابعة من الانفعال ((إذ يتكون من حياة الشاعر مثلث من القيم زواياه الثلاث هي: الانفعال، الشعر، والموت، فالشاعر يحب الانفعال؛ لأنه يؤدي إلى الشعر على أنه يلاحظ ان الانفعال هو الموت))[41] . وقد ارتبط الموت بالتجربة الشعرية بوساطة سياقات عدة، منها السياق السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وأصبح معادلاً للانهيارات التاريخية، كما ارتبط بالموقف الذاتي والفلسفي، لكل شاعر حسب طبيعة تكوينه، والعوامل الاجتماعية التي تعرض لها ولفت ظلها، فتشكلت جزءًا من أفقه ووعيه وإحساسه بالموت. ظهرت صورة الموت عند الدوخي في قصيدة "هذيان ثانوي يقول فيها:[42]

كان الموت

لا يعطي الحصانة للأقارب، للحبائب،

للنسائب ...

كلنا كنا أمام الموت

صفاً واحدة مثل الذرة

وبهذه

سيموت من لا يستطيع العدَّ

بعد العشرة

يجرد الموت من قيمة خلقية حتى وإن دلت على حتمية مرعبة، سيستظل تحتها كل بشر، إلا أنه يضفي عليها سمة العدالة التي جردت منها سياسة الحكم وأصحاب المقاليد السلطوية، فهو لا يستثني أحدًا بل الجميع سواسية عنده مثل الذرة عبر مراحل إنباتها حتى نضجها وقطفها، حين تأخذ وحدة تأتي الأخرى، فالفلسفة التي بنى عليها الشاعر رؤيته للموت والحياة، تسلم بأن الموت حقيقة لا مفر منها، فاتجاه الشاعر بنظرته نحو الموت كنظرة لأمر وجودي لا مجال

[38] الموت في الشعر العربي السوري المعاصر، وليد مشوح، ص ١٩ – ٢٠ .
[39] المرجع نفسه، ص٧١
[40] الموت والمغامرة الروحية، محمد منير منصور ، ص٤٨.
[41] أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، ريتا عوض، ص٤٠.
[42] قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ص305 .

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

للفرار منه، وهو لا يخافه، أو يهابه، بل سلم بقدومه، ولعله ينظر إليه هذه النظرة السلامية ؛ لأنه اتجاه موصد يتخذ من العدالة والسلم منطلقًا، لا يفرق بين سياسي أو مواطن، حبيب أو غريب، طفل أو كهل. استعار من منطلق السياسة أيديولوجيتها، وهي ما كشفت فحوى النص وإيماءه الموارب، فهو نقيض الحكام المنتقين، وهو أمر عام وشامل ، وفي صورة وضعها عند تسلسل العمر شيئا فشيئا حتى الموت، في قصيدته (سوء) يقول فيها: [43]

وأنا

مستقر الدبق

استرق السمع لأنين الحمام

العمر:

سلة بيض

يحملها كنغر..

إنّ تأملات الشاعر حول ماهية الموت، جعلته يصفها بهذا الوصف؛ حيث يصف العمر المفهوم الأيديولوجي للموت، وبمعناه التدرجي حتى يصل إلى هرميته ثم الموت فيراه، إنه يتناقص وينقضي، كصورة حيوان الكنغر القافز وبحجره بيض، فالبيض هي المراحل العمرية، والكنغر بمثابة الصيغة الوجودية للحياة، فكما يتقافز البيض من حجره، يتناقص عمرنا من الحياة، فهو يسلم بحقيقة هذا الموجد المحتوم، وجعل القارئ يتأمل هذه القضية، لذا بدت الرؤية الأساسية عند الشاعر تجاه حقيقة الموت لا تقوم على الخوف أو الاستسلام، بل مسلم بحقيقتها ووجودها.

إن لحظة الموت من أكثر العوامل المؤثرة في نفسية الإنسان، تتولد بوساطته مختلف المشاعر والأحاسيس، إما رهبة وتسليم وإما خوف، أو حيرة، وكثيرًا ما تبادرت الأسئلة عما وراءه، لعلهم يدركون سره، ويعرفون ما هو، لذلك تعددت نظرات الشاعر إلى ماهيته، أحياناً يخافه ويخشاه، وأحيانًا يسلم له، وأحيانًا يصفه ويشخصه ويجذب إليه، ويستأنس لمجيئه، وذلك في قصيدته (ملصق على العراق):[44]

لماذا ترد عيني؟

كيف أسلو؟!

الوقت وقت الموت دع ذكر الغرام لزرع ليلى

أنت محل

أسرع وقل لهم الوصية كي نعود فهذه الطرقات

[43] الأسماء كلها، ص١١٧.

[44] الأسماء كلها : ص٢٣.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

قفل

يضعنا أمام حتمية أسلم منذ البدء بماهيتها، ولكنه الآن يأنس لحلوله، علّه إرادة مقصودة؛ كي يخفف عن كاهله القلق الميتافيزيقي بدرجة ما، وكأنه يربط اللهو والسلو بمجيء الموت وذكر الغرام، وهذه المشخصات الدينامية لماهية الحياة، وأي حياة؟ الحياة السعيدة اللاهية اللامحدودة ، وكأنه يضعنا أمام مصراعين كيف يسلو بالموت؟ ألم يتجلد كباقي المخلوقات البشرية؟ داعيًا لحالة التماهي الشبه كاملة مع الموت من حيث صبابته بذكر أحاديث ليلى والغرام، ومن حيث الوصية، لذا فهو لم يغيب الموت هنا ولم يستسلم له، بل سلم بوجوده وأصبح حقيقة واقعة له.

أهم ما توصل إليه البحث:

حاولت هذه الدراسة أن تقدم صورة الذات في شعر حمد الدوخي وفق مجموعة الأسماء كلها، وقد توصلت الدراسة على امتداد مباحثها إلى جملة من النتائج:

- تعد الذات من المفاهيم المتعددة التعريفات والأكثر تعقيدًا، سواء في علم اللغة أو الاصطلاح أو الفلسفة، ونظرًا لاختلاف تعريفات العلماء وتنوعها وتعدد الاتجاهات والآراء المتعلقة بها من جهة وضبابية حدودها من جهة أخرى.
- كانت ذات الشاعر متباينة في شعورها فتارة حزينة محبطة نتيجة ما عانته من أحداث ووقائع أزمت حياة الشاعر ومعتركات محطاته، وأحيانًا مغتربة وجوديًّا أو نفسيًّا، وتارة رافضة وثائرة، تبعًا للتحولات الدلالية التي برزت من خلال الصور الشعرية الواردة في السياق، إذ جاءت، هذه الذوات تعبيرًا وانعكاسًا عن موقف ذاتي، وأحيانًا عام شمولي يتعلق بالمنظومة الاجتماعية والسياسية، وفق قناعات آمن بها، وأن الموضوعات التي كشفت عنها تلك الذوات تعبر عن حاجات الشاعر النفسية والاجتماعية التي حاول تحقيقها، كما عبرت عن رؤياه بسياق تعبيري منظم.

إنّ للآخر حضوراً كما الذات في شعره، فجاء منوطًا بسياقات العاطفة التي أدت المرأة بخصوصيتها الفطرية –الأم– دورًا كبيرًا على حياته، وكان اللجوء إليها بمثابة مفرّ نفسي آمن من تشظيات الواقع المؤلم، وانكسار الذات وانكفائها على ذاتها لتحطم الآمال، وتارة يتخذ من الحبيبة شراعاً نفسياً أيضاً ليجتذبه من قسوة الواقع المفروضة والبحث عن الحب والسعادة في غياهب الخوف والقلق، ويكون الآخر سياسيًّا من حيث كونه الآلية المسيرة للوضع المعاش، المسؤولة أمام أنظاره حتى عكسها أدبيًّا في طور شعره، وعكس دلالية الموت الذي لا يقوم على مبدأ الاستسلام له، وإنما مسلم بماهيته على كل حال.

المصادر والمراجع

أولاً – الكتب:

- أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث : ريتا عوض، ط١، الجامعة الأمريكية، بيروت – لبنان، ١٩٧٤ م.
- الأسماء كلها (المجموعة الشعرية): حمد دوخي، ط١، دار ديوان المسار، بيروت، دبي، 2008–2009م.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021

DOI: 10.15849/ZJJHSS.210730.06

- الأنا في شعر محمود درويش، دراسة سسيو ثقافية في دواوينه من (1995 – 2008): صفاء عبد الفتاح محمود المهداوي، ط1 ، عالك الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أربد ، شارع الجامعة ، 2013م .
- أهم المظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، أهم المؤثرات الأجنبية فيها: فؤاد القرقوزي، د. ط، الدار العربية للكتاب، د. ت.
- التجريبية والذاتية: جان دولوز ، تقريب أسامة الحاج، ط ١، المؤسسة الجامعية للنشر بيروت، ١٤١٩هـ.
- التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل ، ط١، دار العودة، ٢٠١٤م .
- التنشئة الاجتماعية للطفل: سميح أبو مغلي، ط ١، دار اليازوري العلمية، ٢٠١٣م.
- ثنائية الأنا والآخر بين الصعاليك والمجتمع الجاهلي: عبدالله بن محمد تريسي، ط ١، مجلة التراث العربي اتحاد العرب، دمشق، ٢٠١١ م.
- ديوان عبيد بن الأبرص: عبيد بن الأبرص، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٤ م.
- ديوان عروة بن الورد والسموأل: عروة بن الورد والسموأل، دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤.
- ديوان عنترة بن شداد: عنترة بن شداد، ط ١، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤ م .
- الذات في مواجهة العالم، تجليات الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية : أميرة علي زهراني، ط١، مركز الثقافي العربي ، 2011م .
- الشاعر والذات المستبدة: د. صالح زياد، عالم الكتب الحديث، 2011 م.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- في معرفة الآخر: بن سالم حميش، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ م.
- قضايا الشعر العربي المعاصر: نازك الملائكة، ط٥، دار العلم للملايين، ٢٠١٠ م.
- لسان العرب: ابن منظور، طبعة جديدة، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- محيط المحيط: بطرس البستاني، ط٤، مكتبة الناشرون، ساحة رياض الصلح، ١٩٨٨ م.
- المصباح المنير في غريب الشرح: أحمد بن محمد المقري، حققه عبد العظيم الشناوي، ط ٤، دار المعارف، ٢٠١٦ م.
- معجم علم الاجتماع: دينكن ميشل، ترجمة: إحسان محمد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٨م.
- الموت في الشعر العربي السوري المعاصر: وليد مشوح ، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٩ م.
- الموت والمغامرة الروحية: محمد منير، دمشق دار الحكمة، ٢٠٠٨ م .
- النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، ط١، دار العودة، 1997 م.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ثانياً– الرسائل والبحوث:

- الآخر في الشعر الجاهلي: مي عودة أحمد ياسين ، رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٦ .
- الاغتراب النفسي وعلاقته بالأدب النفسي: د. رغداء نعيسة، مجلة جامعة دمشق، مجلد ٢٨، العدد ٣، ٢٠١٢ م.
- الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين من القرن العشرين : موسى كراد، جامعة الحاج الخضر، باتنة، كلية اللغة والأدب العربي، ٢٠١٦ – ٢٠١٧.
- الصور الجدلية بين الأنا والآخر في الرواية العربية: جميل حمداوي، مقال ، صحيفة المثقف، العدد 144 ، 2010/6/27 .
- القلق والمستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح: نيفين عبد الرحمن المصري، كلية التربية، جامعة الأزهر (غزة) فلسطين، ٢٠١١ م.
- مفاهيم في الاغتراب : محمد ذينون الصايغ، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ٨٩، ٢٠٠٦.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الأردنيّة 2021